

تفسير ابن كثير

وَاللّٰهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ
مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبَالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَنِعْمَتِ اللّٰهِ هُمْ يَكْفُرُونَ

يذكر تعالى نعمه على عبده ، بأن جعل لهم من أنفسهم أزواجا من جنسهم وشكلهم [وزينهم] ولو جعل الأزواج من نوع آخر لما حصل ائتلاف ومودة ورحمة ، ولكن من رحمته خلق من بني آدم ذكورا وإناثا ، وجعل الإناث أزواجا للذكور . ثم ذكر تعالى أنه جعل من الأزواج البنين والحفدة ، وهم أولاد البنين . قاله ابن عباس ، وعكرمة ، والحسن ، والضحاك ، وابن زيد . قال شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : (بنين وحفدة) هم الولد وولد الولد . وقال سنيد : حدثنا حجاج عن أبي بكر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : بنوك حين يحفدونك ويرفدونك ويعينونك ويخدمونك . قال جميل : حفد الولائد حولهن وأسلمت بأكفهن أزمة الأجما لوقال مجاهد : (بنين وحفدة) ابنه وخادمه . وقال في رواية : الحفدة : الأنصار والأعوان والخدام . وقال طاوس : الحفدة : الخدم وكذا قال قتادة ، وأبو مالك ، والحسن البصري . وقال عبد الرزاق : أنبأنا معمر ،

عن الحكم بن أبان ، عن عكرمة أنه قال : الحفدة : من خدمك من ولدك وولد ولدك . قال الضحاك : إنما كانت العرب يخدمها بنوها . وقال العوفي ، عن ابن عباس قوله : (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) يقول : بنو امرأة الرجل ليسوا منه . ويقال : الحفدة : الرجل يعمل بين يدي الرجل ، يقال : فلان يحفد لنا قال : ويزعم رجال أن الحفدة أختان الرجل . وهذا [القول] الأخير الذي ذكره ابن عباس قاله ابن مسعود ، ومسروق ، وأبو الضحى ، وإبراهيم النخعي ، وسعيد بن جبير ، ومجاهد ، والقرظي . ورواه عكرمة ، عن ابن عباس . وقال علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس : هم الأصهار . قال ابن جرير : وهذه الأقوال كلها داخلة في معنى : " الحفد " وهو الخدمة ، الذي منه قوله في القنوت : " وإليك نسعى ونحفد " ولما كانت الخدمة قد تكون من الأولاد والأصهار والخدم فالنعمة حاصلة بهذا كله ؛ ولهذا قال : (وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدة) قلت : فمن جعل (وحفدة) متعلقا بأزواجكم فلا بد أن يكون المراد الأولاد ، وأولاد الأولاد ، والأصهار ؛ لأنهم أزواج البنات ، وأولاد الزوجة ، وكما قال الشعبي والضحاك فإنهم غالبا يكونون تحت كنف الرجل وفي حجره وفي خدمته . وقد يكون هذا هو المراد من قوله [عليه

الصلاة [والسلام في حديث بصرة بن أكثم : " والولد عبد لك " رواه أبو داود . وأما من جعل الحفدة هم الخدم فعنده أنه معطوف على قوله : (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) أي : وجعل لكم الأزواج والأولاد . (ورزقكم من الطيبات) من المطاعم والمشارب . ثم قال تعالى منكرا على من أشرك في عبادة المنعم غيره : (أفتبالباطل يؤمنون) وهم : الأصنام والأنداد ، (وبنعمة الله هم يكفرون) أي : يسترون نعم الله عليهم ويضيفونها إلى غيره . وفي الحديث الصحيح : " إن الله تعالى يقول للعبد يوم القيامة ممثنا عليه " ألم أزوجك ؟ ألم أكرمك ؟ ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذكرك ترأس وتربع ؟ " .